طرق البحث العلمي في مؤلفات الرازي

أ.د. سلسل محمد العاني
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

ماالمقصود بمنهج البحث العلمي

نسب أغلب مؤرخي العلم الإنساني الطرق التي إتبعت في كتابة المنهج العلمي الصحيح ، في كافة العلوم و المعارف ، إلى العصر الحديث . و قال آخرون ان العقل البشري ، سواء في الأزمنة القديمة أو الحديثة ، هو واحد لا يمكنه التفكير أو العمل إلا بوجود منهج معين يسير عليه فكره و فعله [1] ، مطلقين عليه تسمية المنهج التلقائي . و كما هو واضح من التسمية يمكن وصفه بأنه منهج يفتقر إلى الإدراك و الشعور . و يطبق هذا المنهج الغالبية العظمى من الناس ، فهم يعملون بدون تخطيط مسبق و ربما وصلوا إلى أهدافهم المنشودة وربما لا يصلون [2] .

يتعلم الفرد بعد خوضه لتجربة ما كيفية التخطيط اولا ، ثم السير وفق خطة معينة و مدروسة قائمة على إستخدام العقل ، مضافا إليها خبراته من تجارب سابقة ، فيحرص على تفادي أخطاء وقع فيها كما يهيء عقله و جسده للإقدام على عمل جديد أكثر تنظيما من سابقه.و هذا مانسميه بالمنهج أو الإسلوب الإدراكي . و بهذا يكون الفرد قد وضع لنفسه نظاما يسير عليه بغية الوصول إلى هدفه ، و يعني ذلك أنه إستخدم فكره و إنتقل من مرحلة التلقائية إلى مرحلة الإدراك ، و انه صار يختزن معلومات و مجموعة من النظم و القواعد .فالمنهج إذن هو " طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية "[3] .

تشمل مراحل منهج البحث خطوات عديدة يمكن حصرها بـ (إختيار الموضوع ، جمع المعلومات ، نقد المعلومات ، التدوين) .

بعد تقدم الجوانب العلمية و الثقافية في بداية العصر العباسي ، أصبح من الطبيعي أن يتوصل مصنفو الكتب إلى نهج علمي منظم في كتاباتهم جاء ثمرة لجهودهم الفكرية و العملية [4] . و صار لزاما على المؤلف إتباع خطوات علمية للوصول إلى مبتغاه ، و إلا سيجد نفسه يتخبط وسط كم هائل من المعلومات يستحيل عليه تنظيمها و التوليف بينها .

و من بين الكثير من العلماء المسلمين إخترنا الطبيب أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (251 - 311 هـ / 865 - 923 م) الذي ترك عددا من المؤلفات تمكن من تنظيم المعلومات الواردة فيها وفق منهج علمي صحيح و واضح ربما يفتقر إليه الكثير من واضعي الكتب في العصر الحديث .

إختيار الموضوع

يلاحظ الدارس لمؤلفات الرازي أنه من بداية الصفحة الأولى يعرف تماما من أين يبدأ و متى ينتهي فقد رسم قبل الشروع في التدوين منهجا واضحالم يحد عنه . فهو لايقرر الكتابة إلا بعد وضع هيكل متكامل للموضوع يشمل العناوين الرئيسة و الثانوية . و هذا مانسميه بالتخطيط المسبق في المنهج العلمي الحديث ، و أدرج كذلك مبررات وضعه للكتاب كما لم يفته ذكرأسباب عدم خوضه في مواضيع غير التي تناولها و وضع نهجه هذا في مقدمات إحتلت الصدارة في مصنفاته .

و لم يقتصر هذا الإسلوب على كتب الرازي فقط بل شمل أيضا عددا من المؤلفين المسلمين الذين فطنوا ما لهذا الجزء من الكتاب من أهمية علمية في التمهيد للمؤَلَفْ بأكمله و ضمنوه معلومات قيمة حرصوا على وجوب ربط محتوياتها مع مضمون الكتاب .

بين الرازي سبب تأليفه لكتاب (من لا يحضره الطبيب)إلى ان من سبقوه من الأطباء قد إسترسلوا في مؤلفاتهم إلى ذكر أدوية و أغذية باهضة الأثمان ليست في متناول عامة الناس ، و لا يستطيع إقتناؤها إلا الملوك الأمر الذي دفعه إلى وضع مقالة تتناول علاج الأمراض بالأغذية و الأدوية المتيسرة و المعروفة لدى الجميع لينتفع منها أكبر عدد من البشر في حلهم و ترحالهم . و أضاف أيضا أنه سار على خطا من سبقوه فبدأ بعلاج الأعضاء التي تقع في أعلى البدن وصولا إلى أسفله جزأً" جزأً" و ما يصيب كل عضو منها من علة (5) .

و أشار الرازي في مقدمة كتاب (برء الساعة) أنه حضر مجلسا رأسَهُ الوزير أبو القاسم بن عبدألله و معه جماعة من العارفين . و قال بعضهم ان العلل تتكون من مواد إجتمعت على مر الأيام و الشهور ، و ان شفاءها لابد و أن يكون بقدر المدة التي إجتمعت فيها العلل ، لكن الرازي إختلف معهم و قال ان هناك عللا تتكون في أيام و لكنها تشفى في ساعة ، فتعجبوا من كلامه و طلب منه الوزير في حينها وضع كتاب يحتوي على جميع العلل التي يمكن علاجها في ساعة واحدة .

بدأ أبو بكر مؤلفه بالعلل من الفرق إلى القدم و أوضح أنه لم يتطرق إلى علاج بعض الأعضاء ، وذلك لم يحدث عن سهو منه بل لأن بعض الأعضاء لا تشفى في ساعة . و أكد على عدم إمكانية شفاء جميع الأعضاء في ساعة و شَبَه كتابه بكتاب (السر في الصنعة) و وصفه بأنه دستور في الطب (6) .

و جاء في مقدمة كتابه (منافع الأغذية و دفع مضارها) انه حين لم يجد من بين الأطباء الذين سبقوه من تناول مثل هذا الموضوع إرتأى أن يؤلف كتابا أو كما أسماه(فناً) يبين فيه أهمية الأغذية من جانب ، و الأضرار التي تُحدثها في الجسم البشري من جانب آخر . و قسمه إلى مقالتين الاولى ، تبحث في الامور الخاصة الجزئية و الثانية ، خصصها للقوانين العامة الكلية . و أضاف انه لما كان غذاء الإنسان الاول و الرئيس الخبز و الماء و الشراب و اللحم فمن الأولى الكتابة عنها أولا (7) .

و في باب الإنذار بالحوادث الرديئة و كيفية الإسراع بمعالجتها قبل إستفحالها قال :" لهذا الباب قدر مهم في حفظ الصحة و كان بمقدوره (أي الرازي) التوسع فيه لكن ذلك يتعارض و الغرض الذي من أجله وضِعَ هذا الكتاب ". و يضيف " و لا نقول في شيء من فصوله إلا قولا قصدا وجيزا و جملا جوامعا "[8] .

و ربما يتساءل القارىء عن المبررات التي دفعت الرازي للكتابة في مبحث معين دون سواه أو إختياره موضوعا محددا و إعراضه عن تناول مبحث آخر رغم صلته الوثيقة به ، لكنه سرعان ما يجد الجواب لدى المؤلف البارع و من ذلك : خشيته من ان ينقاد إلى الكتابة عن امور جانبية مما لا يتفق و الهدف الذي من أجله وضع الكتاب أو خشيته من الإطالة أو بأن ما كتبه وافٍ و ليس هناك من ضرورة للإطناب .

و وردت هذه الحقيقة واضحة في خاتمة كتابه (منافع الأغذية و دفع مضارها) فيذكر : ان طول الكتاب قد وصل إلى مبتغاه الذي وضعه و ان محاولة إضافة فصل حول فائدة كل غذاء لكل عضو من أعضاء الجسم أمريقوده إلى الخروج عن هدف الكتاب ألا و هو معالجة الأسقام بالأغذية . و يضيف لأجل ان لا يحصل ذلك فقد توقف عن إكماله آملا أن يجد وقتا لتكملته مستقبلا [9] .

جمع المصادر

و هي المرحلة الثانية التي تعقب إختيار الموضوع ، و تسمى المصادر بالأصول و تعني الكتب التي يرجع إليها الباحث لجمع معلومات تتعلق بالموضوع الذي ينوي الكتابة فيه .

من المآخذ التي نلاحظها في بعض المؤلفات القديمة عدم إلتزام مؤلفيها بالأمانة العلمية ، أي خلوها من الإشارة إلى أسماء المؤلفين أو عناوين الكتب التي إستقوا منها معلوماتهم . رغم ان المؤلفين المسلمين كانوا من أوائل المدونين الذين فطنوا ما لهذا الجانب من أهمية . و يتضح ذلك من خلال رواية الأحاديث النبوية فإستخدموا عند التدوين طريقة الإسناد و ذلك بذكر اسماء المحدثين الرواد إبتداءا من الصحابة رغم إنها كانت تروى شفاها في البداية و لم تدون ، و إستمر هذا النهج العلمي السليم متبعا حتى بعد فترة التدوين .

نجد في مؤلفات الرازي انه لم يتوانى عند ذكره للأمراض و العلاجات عن نسبتها إلى مصادرها الأولى ، فأحيانا يُدرج أسماء لأطباء سبقوه بعلاج مرض ما ، و أحيانا يشير إلى عناوين كتبهم . فإستشهد بأقوال الطبيب اليوناني الكبير جالينوس أو اغلوقن و كذلك إبن سرابيون و الكندي وأبي هلال الحمصي .

و لم ينس التذكير بعناوين الكتب مثل (محنة الطبيب) و (حيلة البرء) و (كتاب الصين) و (تذكرة إبن عبدوس) . وجاءت هذه الاسماء و العناوين موزعة بين صفحات مؤلفاته .

و رغم خبرته و ذياع صيته إلا انه لا ينسب العمل الناجح لنفسه بل يشيد بجهود الآخرين من العاملين معه و منهم أطباء المارستان و على الأغلب هو المارستان الذي

كان يعمل فيه ، و إن فاته ذكر أسمائهم ، إذ يقول بأنه تم علاج العين المقدوحة و علاماتها مشاهدة الماء يترجرج فيها تحت القرني أو تحت الناظر أو حواليه و إن أطباء المارستان عالجوا المريض بالإكتحال بالحلتيت و أوصوأ المريض بمداومة تناوله عن طريق الفم لفائدته الكبيرة في جلاء البصر[10] .
و يذكر في الفصد ان أطباء المارستان إستعملوا الكمون و القلقطار و النورة و لكن شريانا كبيرا إنفتح فحشوه بالكمون و النورة فإنقطع ثم شدوه [11] .
حرص الرازي في مؤلفاته على إعطاء عنصري المشاهدة الدقيقة و التجربة مقاما اولويا في عمله و حصل من خلال ملاحظاته على معلومات قيمة من مصادر متفرقة بعضها عن طريق الكتب ، و البعض الآخر من تجاربه الشخصية أو من تجارب إستقاها ممن سبقوه . و من ذلك
ان القدرة الإلهية أعطت مخلوقات الأرض قابلية الإستفادة من الطبيعة ذكرها في كتاب (الخواص) فقال إن طائر الخطاف إذا ما حدث و اصيبت فراخه باليرقان فإنه يحضر لها حجرا صغيرا أبيض اللون يسمى بحجر اليرقان يضعه في عشه فتشفى .
و من خلال ذلك عرف الإنسان ما لهذا الحجر من فائدة و إستخدمه لنفس الغرض[12].
و من التجارب العملية التي تضمنها كتاب (الحاوي في الطب) وصف لما يتعرض له قلب الإنسان من الأورام الحارة و التي تصيب الحيوان أيضا و تقضي عليه. فقد حدث و اصيب قرد بالهزال و الضعف و بسبب بعض المشاغل أهمل علاجه فمات، و عند تشريحه وجد ان جميع أعضائه سليمة إلا غلاف قلبه ، إذ لوحظ ظهور ورم فيه رطوبة كتلك التي توجد في النفاخات فثُقِبَ الورم و خرج منه سائل [13] . و شُرِحَ ديك و شوهد ورم صلب على غشاء قلبه و لكن بدون رطوبة و هذا مرض يصيب الإنسان أيضا [14] .
تكمن أهمية كتب الرازي في غناها بمعلومات ثرية و متنوعة تعطينا صورة واضحة عن الأمراض المعروفة أنذاك و طرق معالجتها . و بهذا ندين للرازي مرتين الاولى في تفانيه في عمله كطبيب معالج ، و الثانية حرصه على ذكر اسماء الأطباء و عناوين مؤلفاتهم .

نقد المعلوما ت

يستشف من بعض المدونات القديمة لجوء أصحابها إلى الإستشهاد بأقوال غريبة بعيدة عن التصديق . ولا يتناول المؤلفون في الغالب هذه الأقوال و الروايات بالتمحيص و النقد و لا حتى التنبيه إلى ضرورة عدم الوثوق أو الأخذ بها على محمل الجد . و بذلك يضيع القارىء بين الحقيقة و الخيال أو الخطأ و الصواب .
و يستوجب على الباحث في هذه المرحلة و بعد جمعه للنصوص التي تتعلق بموضوعه أن يدقق في صحة المعلومات التي سيعتمد عليها وهل ان المؤلف الذي إقتبس منه كان صادقا في كتاباته أم لا .

لم يغب هذا الأمر عن بال الرازي المؤلف فتناول بالنقد و التعليق ما جاء في مصنفات غيره من العاملين في حقل الطب ، وهو أمر اساسي في منهج البحث العلمي ، فقد حرص على التعليق على آراء غيره بإنتقاده أو تأييده لمعلوماتهم . و أكد ذلك في كتابه (المنصوري في الطب)

فقال أنه جمع من كتب الذين سبقوه مثل بقراط و جالينوس و ارناسوس و الذين أتوا من بعدهم من أساتذة الطب المعروفين كبولس و اهرون و حنين إبن إسحق و يحيى بن ماسويه و إختصر أقوالهم و تناول بالفحص و التدقيق ما قالوه[15].

خالف الرازي الطبيب اليوناني المعروف جالينوس فقال :" ليس لجالينوس ها هنا كلام منتظم ..."[16] . و " فالآفة في العصبة على رأي جالينوس ، و أما ما نرى ..." [17] ، و جاء أيضا

" رأيت أن اولف كتابا في دفع مضار الأغذية تاما مستقص أبلغ و أشرح مما عمله الفاضل جالينوس فإنه سها و غلط في كثير من كتابه في هذا المعنى و لم يستقص في كثير منه ولاسيما يحيى بن ماسويه فإنه ضر بكتابه الذي عمله في هذا الغرض أكثر مما نفع " [18] .

اشار ا لرازي في (الحاوي في الطب) انه تعجب كثيرا من العلاج الذي وصفه إسرائيل طبيب الخليفة سليمان بن عبد الملك (96 - 99هـ / 714- 717م) للقولنج و يحتوي على :" شبرم سكبينج بالسوية و أنزروت مع شحم حنظل نصف نصف .يُحَلْ السكبينج بشراب و يُحَبَبْ كالحمص و الشربة منها خمس حبات ". و ينتقد الرازي هذا العلاج قائلا :" و أعلم ان واحدة من هذه الحب تسهل مَنْ طبيعته شديدة مرتين "[19] .

لم يُقصد بهذا النقد التجريح و التصيد لأخطاء الآخرين لكبرفي النفس ، بل ان صدقه و أمانته في عمله دفعاه إلى اللجوء لذلك ، ولغرض التأكد من فعالية العلاجات التي يذكرها الأطباء بغية إيصالها إلى المرضى على أكمل وجه . و نجده يعترف حتى على نفسه حين يخفق في عمله فيقول انه من خلال علاجه للزرقة التي تحصل للعين إستطاع التخفيف من حدتها و لكنه لم يتمكن من شفائها شفاء" تاما" [20] .

التدوين

لا يعرف ما لمرحلة التدوين من صعوبة و أهمية إلا الباحثين ،ذلك ان تركيب المعلومات المبعثرة المستقاة من مصادر متعددة سواء كانت مدونة أو أُخذت شفاها عن شهود خاضوا التجربة نفسها ، و من ثم تقديمها للقارىء بشكل علمي و واضح بآن واحد من ناحية الإسلوب اللغوي المتبع و التقيد بوجوب إيصال معلومات وافية و صحيحة إلى أشخاص ينتمون إلى طبقات ثقافية متباينة ، و إن كانوا يعملون ضمن إختصاص معين ، أمر يتطلب من الكاتب دقة متناهية في إنتقاء ألفاظ واضحة و بسيطة تلقى وقعا حسنا في النفس ، علميا و لغويا ، و تحث على مواصلة القراءة و الإستمتاع و الإفادة من الكتاب .

يقول الجاحظ في هذا الموضوع :" و ليس الكاتب إلى شيء أحوج منه إلى إفهام معانيه حتى لا يحتاج السامع لما فيه من الروية ، و يحتاج من اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة و الحشو و يحطه من غريب الاعراب ووحشي الكلام ، و ليس له ان يهذبه جدا و ينقحه و يصفيه و يروقه ...." ، و يضيف " لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام و صارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم ... " [21] .

إستخدم الرازي في مؤلفاته لغة عربية سلسة رغم صعوبة الكتابة في موضوع الطب . و لبراعته إستطاع تناول امور عديدة شملت ذكر أعراض المرض و وصف طرق تحضير العقاقير و تقدير نسبها و كيفيه المعالجة بها . و لم يخصصها للأطباء فقط بل لعامة الناس أيضا فقدم لهم شرحا

لمفهوم الطب و الأمراض التي قد يصابون بها بما في ذلك العلاجات التي ربما يضطرون إلى إستعمالها . فالطب عنده هو " حفظ الصحة في الأجساد الصحيحة و دفع المرض عن الأجساد السقيمة و ردها إلى صحتها " [22] . و أوصى اولئك الذين لا يعملون في حقل الطب على ضرورة التعرف على عمل أجسادهم في حالتي الصحة و المرض فلربما يحدث ان يداهمهم السقام في مكان لا يجدون فيه طبيبا ، و إذا لم يعرف الإنسان علته و كيفية علاجها فقد يؤدي به الأمر إلى التهلكة. و أكد كذلك على وجوب معرفة الإنسان لعلم يكسبه الصحة و يبعد عنه المرض [23] .

أشار الرازي في مؤلفاته و بشكل خاص (المنصوري في الطب) إلى امور طبية كثيرة ذات فائدة عظيمة لفئات ليست لها دراية بصنعة الطب ، و جاء وصفه بسيطا وغاية في الدقة مثل :

إن الإفراط في الحمية و تناول الأدوية ساعة المرض و تقليل الأغذية هو أمر لا يحفظ الصحة بل على العكس يجلب المرض [24] . و أوصى بضرورة تجنب التعود على السير وفق نظام واحد في الطعام و الشراب و النوم و الحركة و البراز و الجماع ذلك ان أي تغيير قد يحصل في هذا النظام من شأنه ان يُحدث تأثيرا و ربما ضررا لهم . و إذا ما إضطر الإنسان إلى تغييره فيجب ان يكون هذا التغيير تدريجيا لا مفاجئا ، و عليه ان يعود نفسه على امور كثيرة كالتعرض للحر و البرد و الحركة و تناول أغذية لم يعتد على تناولها و تبديل أوقات النوم و اليقظة و البراز فهو لا يدري ربما إضطر في يوم ما إلى ان يجد نفسه في ظروف صعبة لم يسبق له ان عاشها . و هو إذا ما تدرب عليها مسبقا يُصبح تأثيرها أقل وقعا عليه نفسيا و جسديا [25] .

و لتسهيل فهم ما يكتبه قدم الرازي أمثلة في وصف جسم البشر و عمل أجهزته المعقدة مشبها إياها بعناصر موجودة في الطبيعة . و هو بذلك يُبسط الطب لمن لا دراية له بهذا العلم ، و لمن لم يسبق له مشاهدة الأعضاء الداخلية لجسم الإنسان ، فيقول إن الدماغ يشبه عين ماء و هو ينبوع الحس و الحركة الإرادية . و شبه النخاع بالنهر العظيم ، و الأعصاب التي تتفرع منه بجداول ماء تتزود بمائها من هذا النهر . و إذا ما وقع حادث على عين الماء (الدماغ) فإن الضرر سيكون جسيما و عاما ،

أما إذا أصاب الحادث الجداول (الأعصاب) فإن الضرر سيكون أقل تأثيرا و لا يصيب إلا الجداول(الأعصاب) فقط [26] .

و يماثل شكل القلب ثمرة الصنوبر المقلوبة حيث يكون الرأس إلى الأسفل و الجزء السفلي إلى الأعلى[27] .و قال عن عمل اللسان انه كالرحى يقلب الطعام في الفم عند المضغ بطرق مختلفة حتى يتفتت ثم ينطحن تماما و هذا يشبه الرحى عند طحنها للحبوب [28] .و أوضح ان البدانة على نوعين ينبغي على المرء ان يُفرق بينهما ، فهناك البدن اللحيم و يعني ذلك كثرة اللحم فيه و سببه إزدياد الدم و المزاج الحار الرطب . أما البدن الشحيم فيكثر فيه عادة الشحم لزيادة الرطوبات و المزاج البارد[29] .و إذا ما كان الإنسان عبل الجسم كثير اللحم واسع العرق فإن غلظ جثته مكتسب و ليس بأصلي[30] .

و جاء وصفه للرباط المستخدم في شد الأجزاء المتضررة من العظام غاية في الدقة ، فقد أوصى بمراعاة شد الجزء الموجوع شدا محكما شرط مراعاة أن يكون مصدر الألم الجزء الموجوع لا من تأثير الرباط . و من علامات التأثر بالشد ميل المنطقة التي مادون الرباط إلى الإخضرارو الإمتلاء بالدم ، يصاحبها حكة شديدة مؤذية . و في هذه الحالة يجب حل الرباط و معالجة المكان بالماء الحار حرارة يتحملها الشخص المصاب و تركها ساعة ثم يعاد وضع الرباط ثانية بعد ترطيب العصائب بمزيج من الخل و ماورد و دهن ورد[31] .

و كما سبق و أشرنا ان مؤلفات الرازي تعد مراجع طبية موضوعة بغاية الحرص و الدقة لذوي الإختصاص إضافة إلى عامة الناس . و قد كانت وصفاته للفئة الثانية إما بشكل وصفات طبية تعلمهم كيفية إستعمال العقاقير أو كتحذيرات من امور عديدة أوصاهم بتجنبها إتقاء" لضرر ربما يقع مستقبلا . فنصحهم بإختيار المجبرين و عدم التطبب عند غير المعروفين منهم فغالبية هؤلاء غير مؤهلين و لم يدرسوا اصول التجبير في مدارس الطب و إقتصرت معلوماتهم على المشاهدة عند من عملوا عندهم سابقا و أكثر هؤلاء من الأكراد و القرويين ، وهم بجهلهم و قلة خبرتهم ربما يورثون مرضاهم عللا صعبة . و يكمل الرازي نصيحته قائلا ان ما أعطاه من علاجات في فصول التجبير و تناوله إياها بالتفصيل و الشرح يُغني أبسط الناس عن مراجعة مثل هؤلاء الجهلة[32] . و أكد على المصابين أهمية تدبير غذائهم، أي تناول الغذاء الجيد اولا فهو يُسرع في شفائهم يلي ذلك مد العضو المصاب و تقويمه ثم الربط المحكم الصحيح [33] .

و إستهل مقدمته في باب الحميات مشيرا إلى وجود حالات حادة تحتم على المريض إستشارة طبيب و يقول ان ما كتبه عنها بإسلوب بسيط و مفهوم يُمكن القارىء من علاج نفسه كما وصف لهم أيضا أخطاء وتقصير المُعالجين [34] .

و ثمة نصائح اخرى أوردها الرازي في مؤلفاته منها تذكير المسافر الذي يعرف انه ربما لن يجد في طريقه ماء" كافيا بسبب حرارة المنطقة التي سيسلكها فعليه تناول القليل من الطعام ، قبل سفره ، كالبقول الباردة و البوارد الحامضة أو يشرب السويق

و الماء البارد المُسَكَرْ . و حذره من أكل الطعام المالح و الحريف و السمك. أما أن حدث و داهمه العطش فقد وصف له أقراصا تقلل من عطشه إضافة إلى الحميات التي قد تصيبه بآن واحد على أن تؤخذ منها حبة واحدة قبل المسير يليها بحبة اخرى شرط ان لا تُمْضَغْ و تترك في الفم حتى تنحل و تذوب [35] .

و مكونات الحبة هي :" بزر الخيار و بزر القرع و بزر البقلة الحمقاء ، و يؤخذ من كل مادة نصف جزء ، ثم يضاف إليها ربع جزء من رُبْ السوس النقي الخالص . تُدَقْ كلها و تعجن بماء البقلة الحمقاء أو بلعاب البزر قطونا ، وتُعمل منها اقراصا صغيرة بشكل الترمس" [36] .

و نبه الرازي الناس من ان هناك أعراضا قد تبدو خفيفة لا ضرر منها في البداية إلا انها سرعان ما تستفحل و تتحول إلى أمراض خطيرة . فالصداع الدائم و الشقيقة ينتهيان إلى نزول الماء في العين . و الإختلاج الدائم الذي يصيب الوجه إنما هو أعراض مرض اللقوة . و إذا ما رأى الإنسان بقا يتطاير أمام عينيه أو أشعة تشبه الدخان أو الضباب فذلك مؤشر على نزول الماء في العين . و ان دوام الإصابة بالنزل و الزكام يؤديان إلى الإصابة بالسل و الربو و علل الرئة [37].

لم تتضمن نصائح الرازي للعامة علاجهم و تقويم أبدانهم فحسب و إنما كذلك الحرص على راحتهم و هي مشاعر صادقة تنبع من كونه إنسانا قبل أن يكون طبيبا . و شملت عنايته بهم إنتقاء ملابسهم حيث أوضح لهم خاصية كل نسيج . فذكر ان النسيج الأملس الصقيل المهلهل يعمل على تبريد الجسم ، و لذا وجب لبسه في أيام الصيف القائضة . و ان الأنسجة ذات المخمل و الوبر الغبر الغير مصقول تُسخن الجسم و تمده بالحرارة و يعني ذلك إرتداؤها في فصل الشتاء . كما تناول أيضا صفات الأنسجة الاخرى كالقطنية و الصوفية و الإبريسم و الشعر[38].

و عن إختيار المملوك أوصى المشتري بملاحظة بدنه فإذا ما وجد فيه شامة أو وشم أو كَيْ فقد يعني وجود برص وُشِمَ أو كُويَ لأخفاء معالمه . و حذر من ان المرض سرعان ما يظهر بمرور الأيام في أنحاء اخرى من جسده . و لمعرفة الحقيقة على المشتري دلك الموضع دلكا جيدا بالماء الحار و الأشنان و البورق و الخل ، فذلك من شأنه كشف إن كان هناك مرض أم لا[39] .

و للمكان حيز واسع في طب الرازي لما له من تأثير مباشر على صحة الإنسان ، فأكد على ضرورة إختيار المجالس و المساكن المعتدلة لا الحارة التي تُعرق بدنه و لا الباردة التي تبعث القشعريرة فيها . و ان تكون تربتها لا بالقاحلة الجافة أو الرطبة أو الشعثة الغبرة ، و إذا ما كانت كذلك فعليه مراعاة دوام رش الغبرة منها بالماء أو الجلوس على الأسِرة أو داخل الغرف في التربة الرطبة ، فالمجالس المعتدلة فيها صلاح لذوي الصحة و الطباع المعتدلة [40] .و البلدان ذات المناخ الحار تؤثر على السطح الخارجي لبدن الإنسان و تجعل مزاجه يابسا و أعضاءه الداخلية باردة . أما المناطق الباردة فهي تحفظ رطوبة الجسم و تجعل ظاهره لينا و تُبقي الحرارة في أعضائه [41] .

لقد إجتمعت في مؤلفات الرازي العناصر الأساسية لمقومات منهج البحث العلمي من خلال وضعه لخطة البحث و حرصه على التقيد بمفرداتها ، إضافة إلى حُسن إنتقائه للمعلومات و أمانته في نسبتها إلى مصادرها الأولية . إذ لم يكتف بسرد أعراض الأمراض و طرق معالجتها بل إتبع إسلوب النقد و التصحيح كما لم ينس تدوين ملاحظاته السريرية .

الهوامش

(1)النشار ، علي سامي ، " منهج البحث التجريبي في العالم الإسلامي " ، مجلة كلية الآداب و العلوم ،(بغداد 1957) ، ع 2 ، ص 29 .
(2)المصدر نفسه .
(3)المصدر نفسه .
(4)النجدي ، أحمد جاسم ، منهج البحث الأدبي عند العرب ، (بغداد ، 1978) ، ص 5 .
(5)الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ، من لا يحضره الطبيب ، (طهران ، ب . ت) ، ص 2 .
(6)الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ، برء الساعة ، (القاهرة ، 1936) ، ص 8 .
(7)الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ، كتاب منافع الأغذية و دفع مضارها ، (القاهرة ، 1887) ، ط 1 ، ص 2 .
(8)الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ، المنصوري في الطب ، شرح و تحقيق حازم البكري الصديقي ،(الكويت 1987) ، ط 1 ، ص 64 .
(9)الرازي ، منافع الأغذية ... ، ص 68 .
(10) ا لرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا ، الحاوي في الطب ، (حيدرآباد ، 1962) ، ط 1،ج 12، ص 215
(11) المصدر نفسه ، تصحيح تشاء الصديقي ، (حيدرآباد ، 1976) ، ط 2 ، ج 2 ، ص 353 .
(12)إبن أبي اصيبعة ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، شرح و تحقيق نزار رضا ، (بيروت ، 1965) ، ص 24 .
(13)الرازي ، الحاوي ... ،(حيدرآباد ، 1958) ، ج 7 ، ص 20 .
(14)المصدر نفسه .
(15)الرازي ، المنصوري ... ، ص 18 .
(16)الرازي ، الحاوي ... ، (حبدرآباد ، 1959) ، ج 8 ، ص 156 .
(17)المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 353 .
(18)المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 405 .
(19)الرازي ، منافع الأغذية ... ، ص 2 .
(20)الرازي ، الحاوي ... ، ج 2 ، ص 329 .
(21)الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، تحقيق و شرح عبد السلام هارون ، (القاهرة ، 1938)، ط 2 ، ج 1 ،ص 89 - 90 .
(22)الرازي ، المنصوري ، ... ، ص 29 .
(23)المصدر نفسه ، ص 15- 17 .
(24)الرازي ، الحاوي ... ، ج 8 ، ص 156 .
(25)الرازي ، المنصوري ... ، ص 214 .
(26)المصدر نفسه ، ص 64 .
(27)المصدر نفسه .

(28)المصدر نفسه ، ص 70 .
(29)المصدر نفسه ، ص 90 .
(30)المصدر نفسه .
(31)المصدر نفسه ، ص 305 .
(32)المصدر نفسه ، ص 301 .
(33)المصدر نفسه ، ص 302 .
(34)المصدر نفسه ، ص 459 .
(35)المصدر نفسه ، ص 284 .
(36)المصدر نفسه ، ص 285 .
(37)المصدر نفسه ، ص 210 - 212 .
(38)المصدر نفسه ، ص 160 - 161 .
(39)المصدر نفسه ، ص 95 .
(40)المصدر نفسه ، ص 209 - 210 .
(41)المصدر نفسه ، ص 90 .